﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾

الفتنة في خلافة عثمان ﷺ وكيف تقوى جماعة المسلمين

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٣ جمادى الأولى ١٤٣٨ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر الفضلاء:

إنّ الله ﷻ بعث محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وأنزل عليه القرآن ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل:٨٩]، وآتاه الله الحكمة والسنة، فدعا نبيُّنا ﷺ إلى ربّه وصبر وصابر، وجاهد في سبيل الله حقّ الجهاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وأكمل الله ﷻ لعباده الدين، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

ومات النبي ﷺ، وقام صحابة رسول الله ﷺ بأعباء الحُكم والدعوة إلى الله ﷻ، فاجتمعت الأمة على خليفة رسول الله ﷺ -على أبي بكر الصديق رضي الله عنه- ونشر الصحابةُ رضوان الله عليهم دين الله في الأرض، فملأوا الأرض التي وصلوها خيرًا وعدلاً ورحمةً وبركةً وإحسانًا.

ثم مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فخلفه أمير المؤمنين -عمر بن الخطاب رضي الله عنه- والأمة مجتمعة بجماعة الدين، وجماعة الأبدان.

وفي خلافة عثمان ﷺ الذي تولّى إمرة المؤمنين بعد موت الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، في خلافة عثمان ﷺ كان هنالك رجل قد امتلأ قلبه حِقدًا وغِلاً على المؤمنين، أصله يهودي، تظاهر بالإسلام من أجل أن يمكر بالمسلمين، اسمه عبد الله بن سبأ اليهودي، وأيقن ذلك الماكر أنّه لن ينال من المسلمين حظّه إلا إذا فرّق جماعتهم، وأدرك أنّه لن يفرّق جماعتَهم إلا إذا طعن في إمامهم وطعن في وليّ أمرهم، فأخذ ينشر بين بعض المسلمين في الأمصار البعيدة عن حَضَارة الإسلام، في الأمصار البعيدة عن حاضِرة العلم -عن مدينة رسول الله ﷺ- أصبح ينشر الإشاعات عن وليّ أمر المسلمين -عن عثمان بن عفان ﷺ- وطعن فيه، وطعن أشياعُه في عثمان ﷺ بأمور ليست ممّا يُطعَن فيه في مِثل عثمان ﷺ.

- طعنوا فيه -يا عباد الله- بأنه لم يشهد بدرًا، وعثمان ﷺ لم يشهد بدرًا لأنه كان يُمرِّض حبيبة رسول الله ﷺ، بنت رسول الله، زوجة عثمان ﷺ، والنبي ﷺ أشركه في غنيمة بدر وفي أجرها.
- وطعنوا فيه ﷺ بأنه لم يشهد بيعة الرضوان، وعثمان ﷺ لم يشهد بيعة الرضوان لأنه كان رسولَ رسولِ الله ﷺ لأهل مكة، وقد بايع عنه رسول الله ﷺ بيده الشريفة.
- وطعنوا فيه ﷺ بأنه حَمَى الحِمَى، وما حَمَى الحِمَى إلا لمصلحة المسلمين مُقتديًا بِعُمر ﷺ.
- وكذبوا عليه، وزعموا أنه حَمَى البحر عن التجارة إلا لتجارته رضوان الله عليه.
- وزعموا أنه قد استأثر بالمناصب وولّى أقرباءه وأعطى أقرباءه الأموال، حتى هيّجوا العامّة على عثمان ﷺ.

فخرجت جماعة من الغَوغاء حتى حصروا مدينة رسول الله ﷺ، وفيها بقية صحابة رسول الله ﷺ، فما وقفوا عند حرمة مدينة رسول الله ﷺ، ولا وقفوا عند حرمة صحابة رسول الله ﷺ، حتى حصروا بيت عثمان ﷺ، وتسوّروا عليه بيتَه، وكان يقرأ من المصحف، فضربه أحدهم بجريدة على رأسه حتى شجَّه، وتناثر الدم على المصحف.

وجاء رجل منهم واستلّ سيفه لِيَضرب رأس عثمان ﷺ، فقامت نائلة زوجة عثمان ﷺ فأمسكت بالسيف، فسحبه منها وقطع يدها، وضرب رأس عثمان ﷺ، فوقع رأس عثمان على المصحف، فجاء

مخذول منهم -وقد رأى وجه عثمان وضيئًا، لأنه مات شهيدًا- فقذفه بِرِجله عن المصحف، وقال: ما رأيت كاليوم وجه كافر أحسن.

وهكذا فتح أولئك الضُّلال على المسلمين أبواب الفتن، وكسروا باب الفتن العظمى على أمة محمد ﷺ.

وهكذا يسير أهل الشر إلى اليوم، إذا أرادوا الشر بأمة محمد ﷺ سعَوا إلى تفريق الجماعة وتفريق الكلمة، وعلموا أن سُلّمهم إلى ذلك أن يطعنوا في وليّ أمر المسلمين، فأهل الشر اليوم -أعداء الإسلام، وأعداء الجماعة- يسعون جاهدين لتفريق جماعة المسلمين في كلّ بلد من بلدان المسلمين، ويطعنون في ولي أمر المسلمين المسلم في بلدهم.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا أعداءكم أعداء الإسلام وأعداء الجماعة، تمسّكوا بجماعتكم، واعرفوا لوليّ أمركم قدره، واحفظوا له هيبته، فإنّه لا خير للمسلم إلا في جماعة، ولا جماعة إلا بإمام.

واعلم يا عبد الله، اعلم رعاك الله، اعلم هداك الله، أنّك إن حقّقت الجماعة، ولزمت الجماعة، وتعاونت مع إخوانك على إقامة الجماعة، كنت عابدًا لله ﷻ، مُحقّقًا لمقصود من أعظم مقاصد الشريعة، ومُصلِحًا لدُنياك في نفس الأمر، فإنه لا استقامة لدين العبد إلا إذا كان في جماعة، ولا صلاح لدنياه إلا في جماعة، وصدق رسولنا ﷺ حيث قال: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»، الجماعة رحمة، والفرقة عذاب.

اعلم -يا عبد الله- أن ربك ﷻ أمرك بالجماعة، فقال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

اعلم -يا عبد الله- أن ربّك ﷻ رضي لك أن تكون في جماعة، فارْضَ -رعاك الله- بما رضي الله لك، وإياك أن تُطيع شياطين الإنس والجن في ترك ما رضيه الله ﷻ لك، يقول حبيبنا ونبينا ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا».

«إن الله يرضى لكم ثلاثًا»: الله أكبر يا عباد الله! ما أعظمها من جملة لو لامست قلوب المؤمنين، «إن الله يرضى لكم ثلاثًا»: إن العبد المؤمن إذا سمع هذه الجملة لَيشتاق إلى أن يعرف هذه الثلاث، ليحقّقها، وليكون من أهلها، لأنّ ربّه الكريم الجواد القويّ العزيز رضي له هذه الثلاث.

«أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا»: الله أكبر يا عبد الله! عِزُّك وقُوَّتُك وكَرامَتُك في أن تكون موحّدًا، أن تعبد الله ﷻ ولا تشرك بالله أحدًا، لا تشرك بالله شيئًا، لا صنمًا، ولا شجرًا، ولا شمسًا، ولا قمرًا، ولا ملَكًا، ولا وليًّا، ولا نبيًّا، وإنما تعبد الله ﷻ وحده لا شريك له.

«وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا»: أي تكونوا في جماعة على ديانة، فتلزموا جماعة المسلمين، وإمامهم.

«وأن تُناصحوا من ولاه الله أمركم»: المؤمن -يا عباد الله- ناصحٌ لوليّ الأمر، ينصح لوليّ الأمر بأن يدعو له بأن يهديه الله وأن يسدّده وأن يوفّقه، وينصح لوليّ الأمر بأن يَذُبّ عن عرضه ولا يرضى أن يُسَبّ، وينصح وليَّ الأمر بالّتي هي أحسن، وبما يناسب مقام وليّ الأمر، وبما يحفظ هيبته، فلا ينصحه علانية، ولا ينصحه على المنابر، ولا ينصحه على مواقع الإنترنت، وإنما إذا كانت له نصيحة فإنه يرفعها بالوسائل الممكنة إلى وليّ الأمر.

الله أكبر يا عباد الله! إنّ العبد إذا لزم هذه الثلاث عاش في الدنيا وهو من أهل الجنة، ومات على حُسن ختام، وكان مآله إلى جنة عرضها السماوات والأرض، يقول النبي ﷺ: «فمن أراد بَحْبُوحَة الجنة فليلزم الجماعة»، وقال ﷺ لحذيفة رضي الله عنه لّما ذكر الفتن: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

فعَلِمنا بهذا -يا عباد الله- أنّ الجماعة الشرعيّة هي الجماعة التي تكون مع وليّ الأمر المسلم، التي تكون مع الإمام، وأنّ في لزومها السلامة من الفتن، والسلامة من الشرور.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واحمدوا الله على نعمة الجماعة، وعلى نعمة السلطان، واعلموا أنّ ما يكرهه الناس في الجماعة خيرٌ لهم ممّا يحبّونه في الفرقة، فواللهِ -يا عبد الله- ما تراه من نقص وأنت في الجماعة، إذا حَصَلَتِ الفرقة -عياذًا بالله من حصولها- فإنّك ستتمنّى ما كنت تكرهه وأنت في الجماعة، فمَن نظر إلى ما وقع في بعض بلدان المسلمين أدرك هذا بعين البصيرة.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واشكروا الله على نعمه، وتمسّكوا بدينه، والزموا الجماعة والإمام، لعلكم تفلحون.

أقول ما تسعمون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

لّما كان تحقيق الجماعة من أعظم مقاصد الدين، فإن الله ﷻ شرع للمسلمين ما يقوّي جماعتهم، ما يعزّز وِحدتهم.

فشرع الله للمسلمين السمع والطاعة لوليّ أمرهم المسلم في غير معصية الله ﷻ، فلا تَقوى الجماعةُ إلا بالسمع والطاعة لوليّ الأمر في غير معصية الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ -وإذا سمعت في الآية قول الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعِها سمعك، فإنّ فيها جوامع الخيرات والبركات، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

ويقول النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

أنت -يا عبد الله- إن أُمرت بالمعصية فلا سمع ولا طاعة في المعصية، مع بقاء السمع والطاعة في غيرها.

فهذا -يا عباد الله- من أصول الشريعة التي تُحفظ بها الجماعة.

كما أنّ الله شرع لكم -يا عباد الله- سلامة قلوبكم على بعضكم، وأن يحبّ أحدكم لأخيه ما يحبّ لنفسه، وفي هذا تقوية للجماعة ودَحرٌ لشياطين الإنس والجن، يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه».

ويقول ﷺ: «أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على الذين من قبلكم، فتتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلِككم كما أهلكتهم»، أي أن العباد إذا وقع بينهم التنافس المبني على التحاسد – لا على التسابق إلى الخيرات– فإنّ هذا يؤدّي إلى تفرّق كلمتهم وابتعاد قلوبهم.

وقال النبي ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذبُ الحديث، ولا تجسّسوا، ولا تحسّسوا، ولا تباغضوا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا».

النبي ﷺ أرشدنا في هذا الحديث إلى سلامة قلوبنا لبعضنا، فقال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»، إياكم والظن السيّء بالمسلمين، فإن الظن السيّء بالمسلمين يُفرّق الكلمة، ويباعد القلوب.

«ولا تجسّسوا»: فلا تتّبعوا عورات المسلمين.

«ولا تحسّسوا»: لا تسألوا الناس عن عورات إخوانكم.

«ولا تباغضوا»: أي لا تفعلوا ما يؤدّي إلى البغضاء.

«ولا تدابروا»: أي لا تتقاطعوا من أجل الدنيا فوق ثلاث، فلا يحلّ لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرض هذا، وخيرهم الذي يبدأ بالسلام.

وقد كان النبي ﷺ يومًا جالسًا مع أصحابه رضوان الله عليهم، فسألهم سؤالاً عظيمًا، فقال ﷺ: «كيف أنتم إذا فُتِحَت عليكم فارس والروم؟» فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: نقول كما أمرنا الله، فقال النبي ﷺ: «أوْ غيرَ ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون».

فالواجب على المسلم –يا عباد الله– أن يكون سليم القلب لإخوانه، وأن يُحبّ لإخوانه ما يحبّ لنفسه، ففي هذا تقوية لجماعة المسلمين.

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتمسّكوا بدين الله، واعملوا بدين الله، والزموا الجماعة والإمام، واشكروا الله، لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمرٍ عظيم جليل، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشر صلوات، ومَحا عنه عشر خطيئات، ورَفعه عشر درجات».

ألا فصلّوا وسلّموا على حبيبكم ونبيّكم ﷺ، وأكثروا من الصلاة عليه في هذا اليوم المبارك، فإن صلاتكم تُعرض عليه ﷺ.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمَنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ يا كريم يا جواد، ارضَ عنّا وأرضِنا، ارضَ عنّا وأرضِنا، ارضَ عنّا وأرضِنا.

اللهمّ ما قدّمناه من خير فتقبّله منّا واحفظه لنا يا رب العالمين، وما فعلناه من سوء اللهمّ فاغفره لنا يا رب العالمين، اللهمّ فاغفره لنا يا رب العالمين، اللهمّ إنّا ظلمنا أنفسنا ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرةً من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ أنزِل البركة علينا، اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في أعمالنا، وبارك لنا في أجسادنا، وبارك لنا في كلّ نعمة أنعمت بها علينا يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في بلادنا، اللهمّ بارك لنا في بلادنا، اللهمّ بارك لنا في بلادنا.

إلهنا، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، وأنت أعلم بحالنا، اللهمّ من علمته منّا مُبتلى فارفع عنه البلاء يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منّا مريضًا أو علمت أنّ له مريضًا فاشفِه واشفِ مريضه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منّا مدينًا فاقضِ عنه الدين يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منّا مهمومًا فارفع همّه، واكشف كَربه يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربّ، إن علمت أنّ بين مسلمَينِ فرقة اللهمّ فارفع هذه الفرقة، واهدهما إلى الصِّلة يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تُنزل الخير والبركة على ولاة أمور المسلمين، وأن تهديهم إلى ما تحبّ وترضى، وأن تجعلهم رحمةً للرعية، وأن تهدي الرعية لطاعتهم في غير معصية يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك أن تعافي وليّ الأمر، وأن تقوّيه يا رب العالمين، وأن تُمِدَّه بالصحة والعافية، وأن تملأ قلبه حُبًّا للرعية، وإحسانًا إليهم، وأن تُحَبِّب الرعية فيه يا رب العالمين.

اللهمّ زِد أهل الإمارات قوّةً وتماسكًا ووحدةً وخيرًا وبركةً، وزِدهم رحمةً يا رب العالمين، اللهمّ مَن أراد بهم شرًّا، أو أراد ببلادهم شرًّا، أو أراد بجماعتهم شرًّا، أو أراد بوليّهم شرًّا، اللهمّ فاكفِهم شرّه بما شئت يا رب العالمين، اللهمّ فاكفِهم شرّه بما شئت يا رب العالمين.

اللهمّ إنّا اجتمعنا في بيت من بيوتك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا وأمِّنّا ممّا نخاف يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، كما جمعتنا في هذا اليوم المبارك، في هذه الساعة المباركة، في هذه الفريضة المباركة، في هذا الموطن المبارك، اللهمّ فاجمعنا ووالدِينا وأهلنا ومن نحبّ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.